موقف الايرانيين من الدعوة الاسلامية[1]

د. محمد علي آذرشب

اخترت موضوع «موقف الايرانيين من الدعوة الاسلامية» لسببين: الاول لأني قادم من إيران، والأحرى أن أختار موضوعا هو - إضافة الى ارتباطه بموضوع المؤتمر - يرتبط أيضا بالصقع الذي قدمت منه.

والثاني - لأن بعض كتب التأريخ تتحدث عن فتح ايران بالقوة وعن اسلام الايرانيين بالسيف، وعن تحايل الايرانيين بعد قرنين من الفتح على التملص من الاسلام ومقاومة افكاره وعقائده وتعاليمه، وهو ما يشوّه الصورة الاسلامية ويضفي على الفتح المبارك طابعا دمويا.

ولذلك سأتناول في هذه السطور الموضوعات التالية:

١ - مسألة انتشار الاسلام بالسيف في يران.

---

(١) بحث مقدم الى المؤتمر العام السابع للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في جمهورية مصر العربية تحت عنوان: «عطاء الاديان لخدمة الانسان» الاسكندرية ٧ - ١٢ ربيع الاول ١٤١٦

٢ ـ موقف الاسلام من الديانة الزرادشتية.
٣ ـ اخلاص الايرانيين للاسلام.
٤ ـ التعايش الاخوي العربي ـ الايراني في ظل الاسلام.
٥ ـ موقف الفتح الاسلامي من التراث الحضاري الايراني القديم.
٦ ـ عطاء الاسلام للايرانيين.

انتشار الاسلام في ايران بالسيف

في تاريخ الطبري روايات عن مذابح حدثت في العقود الاسلامية الاولى بعضها يرتبط بحروب الردة وبعضها بالفتوح الاسلامية. ومن أخباره عن حروب الردة اجتماع قبائل ثعلبة بن سعد في «أبرق الربذة» واعلانهم منع الزكاة، وقول الخليفة ابي بكر عنهم: «والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه»، وما تبع ذلك من سفك دماء غزيرة، ومنها رواياته عن ردّة طيّ، وعودتهم بعد ذلك الى الاسلام بالتهديد والتخويف، وهكذا رواياته عن ردة أهل عمان ومهرة وقتل عشرة آلاف من المرتدين فيها، وهكذا حديثه عن ردّة اليمن الاولى والثانية وردّة الاخابث وفي جميعها ذكر لجموع غفيرة من القتلى والى عمليات إبادة للحرث والنسل.[1] وهذه الاخبار وإن كانت تثير شك الباحث الموضوعي بمجرد قراءتها لأنها تتعارض مع اخبار ترتبط باقبال الجزيرة العربية على الاسلام طواعية، سوى فئة قليلة من طلقاء مكة، لكن الدقة في أسانيدها يكشف زيفها جميعا لانها ترتبط كما ثبت في التحقيق بمؤامرة كان على رأسها الروائي سيف بن عمر استهدفت مسخ حقائق التاريخ

(١) انظر: الطبري، ص ١/١٨٧١-١٨٧٨ ط اوروبا.

الاسلامي.[1]

واذا كان سيف بن عمر قد وضع روايات دموية في أخبار الردّة، فقد وضع مثل هذه الروايات في الفتوح أيضا، وخاصة فتح ايران.[2] وهي ايضا مليئة بسيول الدماء وصور البشاعة التي تقشعر منها الابدان، وكلها مزيفة ولا اصل لها من الصحة.[3]

وما يرتبط بدمويات روايات سيف بن عمر في فتح ايران ـ اضافة الى تعارضه مع طبيعة الدعوة الاسلامية، ومع وثائق تاريخية كثيرة جدا عن الموقف الانساني تجاه اهالي البلدان المفتوحة في ظل الاسلام ـ فانه مرفوض لما يلي:

١ ـ إن الايرانيين المتحررين من ربقة السيطرة الكسروية أسلموا قبل الفتح، من ذلك الايرانيون في اليمن والايرانيون في البحرين، ووجود سلمان الفارسي بين ابرز الصحابة له دلالته الواضحة.

٢ ـ تذكر الوثائق أن جماعات غفيرة من أصناف الايرانيين تعاونوا مع الفاتحين المسلمين في القضاء على النظام الكسروي منهم القبائل المتنقلة وراء الكلأ (الزط)، ومنهم سكان السواحل (السيابجة)، بل منهم قواد جيش يزدجرد (الاساورة).[4]

٣ ـ تخمينات الباحثين تذهب الى أن عدد المقاتلين المسلمين في فتح ايران لم يتجاوز (٦٠) الفا، وكانوا يفتقدون الى ما كان عند الجيش الايراني من عدّة

---

(١) انظر: مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ واساطير أخرى، ج ٢، ط ٦، ص ٢١ وما بعدها، بحث: انتشار الاسلام بالسيف في حديث سيف.

(٢) انظر: الطبري، وقعة ذات السلاسل، ووقعة الثني او المذار، وخبر ما بعد الحيرة ١/ ٢٠٤٧-٢٠٥٩ ط اوروبا.

(٣) انظر: العسكري، مصدر مذكور.

(٤) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، فصل أمر الاساورة والزط.

وعتاد وآلة الحرب وفنون القتال، بينما كان سكان ايران آنئذ يبلغ (١٤٠) مليونا منهم عـدد لايحصى من الجنـود.[١] حجم سكـان ايـران إذن كـان كافيـا لان يضيع فيـه المقاتلـون المسلمـون. ممـا يـدل على أن الفتح كـان وراءه الشعب الايـراني نفسه أيضا.

٤ ـ التـوغل الاسلامي السريع الى أقاصي شرق إيران يدل على أن المقاومة الـوحيـدة التي واجههـا الفتح الاسـلامي إنمـا كانت من القـوات التي بقيت موالية لخسـرو پرويـز، ومـا إن اندحرت حتى توغل الفاتحون المسلمون في العقد الثاني الهجـري الى خراسان وماوراء النهر، فمن أسلم من أهل البلاد المفتوحة، أصبح له مـا للفاتحين وعليه ما عليهم، ومن أبى الاسلام صالحه المسلمون على «تقوى اللّه ومناصحة المسلمين واصلاح ما تحت يديه من الارضين».[٢]

ومن الطـريف في أمـر الفتح الاسـلامي أن المسلمين دخلـوا غـرب ايـران ووصلـوا قـزوين غيـر أن منطقة شمـال قـزوين، الجبلية وهي منطقة سكـان الديلم استعصت عليهم، ويبـدو أن هـؤلاء الديالمة قد تركت طبيعة الجبال الوعرة اثرا في طبيعة سلـوكهم، فكانـوا أشـداء ذوي منعة وجـلادة ومقـاومة، فأبوا أن يسمحوا للفـاتحين ـ كمـا أبـوا أن يسمحـوا من قبل للسـاسانيين ـ بالتـوغل الى منطقتهم، وأضحـوا حتى منتصف القـرن الثـالث الهجـري يسمون كفار الديلم، ولكن هؤلاء أنفسهم احتضنـوا الداعية العلوي الحسن بن زيد وولّوه عليهم وأصبحت المنطقة بعد حين مسلمة على مذهب أهل البيت.[٣]

٥ ـ سنـرى فيمـا بعـد أن الايـرانيين بعـد قرنين من الفتح الاسـلامي نالـوا

---

(١) انظر: سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي ايران ـ فارسي ـ.

(٢) انظر: كتاب ابن عامر الى عظيم هراة وبادغيس وبوشنج، البلاذري، فتح خراسان.

(٣) انظر: فراي، تاريخ إيران من الاسلام حتى السلاجقة، ص ٩١ من الترجمة الفارسية.

استقلالا سياسيا عن مركز الخلافة ولكنهم ازدادوا التزاما بالاسلام وحركة في خدمته على جميع الاصعدة. كما انهم منذ تشرفهم بالاسلام انصهروا فيه وانهمكوا في فهم لغته وكتابه وتعاليمه، فكانت لهم المشاركة العظيمة مما يدل كل ذلك على أن دخولهم الاسلام لم يكن أبدا بحدّ السيف، ولم يكن أبدا عن رهبة بل عن رغبة عميقة.

موقف الاسلام من الديانة الزرادشتية

كانت الديانة السائدة في ايران عند الفتح الاسلامي هي الديانة الزرادشتية، ومع أن طبيعة هذا الدين لم تكن كالمسيحية واليهودية في وضوح ارتباطها بالنبوات الحقة، فقد عاملهم المسلمون باعتبارهم أهل كتاب، ولم يجبروهم قط على ترك دينهم[1]، لكنهم دخلوا في دين الله أفواجا، ويعود هذا الدخول الجماعي في الاسلام الى عوامل كثيرة أهمها ارتباط الديانة الزرادشتية بالنظام الحاكم الساساني، ومع انهيار هذا النظام الحاكم انهار الجهاز الديني الزرادشتي أيضا[2]، ولاشك أن هذا الدين ارتبط في أذهان الايرانيين بما كان ينزل بهم من ظلم الحكام الساسانيين، ولذلك وجدوا في الاسلام المنقذ لهم من هذا الظلم كما سنبين ذلك، ولكن هذا لايعني طبعا دخول كل أتباع الديانة الزرادشتية في الاسلام. فقد ظلت أسر كبيرة منهم على دينهم حتى القرن الرابع الهجري، ولاتزال جماعة منهم باقية على دينهم حتى يومنا هذا. ولقد كان الزرادشتيون في ظل الاسلام ينعمون بما لم ينعموا به في ظل الدولة الساسانية، من ذلك إعفاؤهم من

(١) برتولد اشبولر، تاريخ ايران في القرون الاسلامية الاولى ص ٣٣٨ من الترجمة الفارسية.
(٢) نفس المصدر نقلا عن Christensen 110-117.

الجنـدية، ومن ذلك أيضـا قيـامهم بطقـوسهم الدينية على الطريقة التي تحلـو لهم وكانوا من قبل مجبرين على أن يؤدوها وفق تعاليم الدولة وقوانين المؤسسة الدينية الصارمة[١] . ولم يكن عليهم من الواجبات تجاه الدولة الاسلامية سوى أداء ضريبة الجزية مقابل حصـولهم على حماية الـدولة الاسلامية، وكان مبلغ الجزية يزيد قليلا على مـا يدفعه المسلم من ضرائب[٢] كما انها ما كانت تزيد على مبلغ ضريبة الرأس التي كانوا يؤدونها للحاكم الساساني.[٣]

وتـذكـر الوثـائق أن الزرادشتيين اسلموا بالتدريج خلال القرون الاسلامية، ويـذكـر أن سامان جد مؤسسي الدولة السامانية أسلم في القرن الثاني وقابوس جدّ سـلالة حاكمة ايرانية أخرى أسلم في القرن الثالث، ومهيار الديلمي الشاعر الايراني المعـروف أسلم في أواخـر القرن الرابع الهجري.[٤] اكثر أهالي كرمان ظلوا طوال العصـر الامـوي على الديانة الزرادشتية، ويتحدث المقدسي الذي طاف في فارس عن الـزرادشتيين هنـاك ومكـانتهم واحتـرام المسلمين ايـاهم[٥] وهكـذا يذكـر المسعـودي عن أهـالي اصطخر، ويتحدث عن كتاب جامع كان لدى الزرادشتيين عن تـاريخ الـدولة الساسانية استفاد منه في تدوين تاريخه، ويذكر اسم «الموبد» في هذه المدينة ومكانته بين أتباعه.[٦]

ويعقـد المسعـودي في مروج الذهب فصلا تحت عنوان: «في ذكر الاخبار عن بيـوت النيـران وغيرها» ويذكر اسم بيت النيران في «دارا بجرد» التي رآها سنة

---

(١) فراي، مصدر مذكور، ص ٣٣.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص ٧١.
(٤) مطهري، مرتضى، خدمات متقابل ايران واسلام – فارسى – ص ١٠٦.
(٥) احسن التقاسيم، ص ٤٢٠،٤٢٩،٤٣٩.
(٦) التنبيه والاشراف ص ٩١–٩٢.

٣٣٢ هجرية ومدى احترام المجوس لها، ويقرر أنها تحظى بتقديس المجوس اكثر من غيرها من بيوت النيران.

وتذكر الوثائق التاريخية أن اتساع دخول الايرانيين في الاسلام كان يقلص من حرية حركة اتباع الديانة الزرادشتية، مما دفع بعض الزرادشتيين الى الهجرة الى الهند.

ويحسن هنا أن نشير الى ما كتبه «المستر فراي» عن هذا الموضوع إذ يقول ما ملخصه:

«إن الزرادشتيين في ايران اتجهوا الى الاسلام عن طريق دعاة الصوفية والشيعة، وخاصة الشيخ ابا اسحاق ابراهيم بن شهريار الكازروني المتوفى سنة ١٠٣٤ ميلادية.

واتجه زعماء الديالمة الزرادشتيون الى الاسلام، واسسوا فيما بعد دولة البويهيين في ايران والعراق واختاروا مذهب اهل البيت لهم عقيدة وسلوكا، واللغة العربية كلاما وكتابة وأدبا.[١]

كل هذا ينفي من جهة أقاويل انتشار الاسلام بالسيف في ايران، ويبين من جهة أخرى موقف الاسلام من الديانة الزرادشتية.

اخلاص الايرانيين للاسلام

ذهب بعض الباحثين الايرانيين والعرب ـ مدفوعين بموجة الصراع القومي التي شاء أعداء الاسلام أن يؤججوا نيرانها في العالم الاسلامي ـ الى أن

---

(١) تراث ايران القديم، ص ٣٩٦ من الترجمة الفارسية.

الايـرانيين أمـام اجتيـاح الاسلام اتخذوا موقف سكوت لمدة قرنين ثم عادوا الى تحقيق هويتهم القومية بعد أن نالوا استقلالا سياسياعن مركزالخلافةالاسلامية.[1]

وهـذه الفرية تعني أن الايـرانيين أسلمـوا بقوة السيف ثم بعد أن استعادوا قوتهم أعلنـوا رفضهم للاسـلام وعـادوا الى هويتهم القـومية السابقة. وهي إساءة كبيـرة الى دين الدعوة بالتي هي أحسن. والى الايرانيين أيضا، لأن هؤلاء القوميين الايـرانيين - كمـا يقـول الشهيـد مطهـري - أرادوا أن يشيـدوا بالالتـزام القـومي للايرانيين فأضفوا عليهم صفة الرياء والنفاق والمخادعة.[2]

وفي أيدينا مالاحد ولاحصر له من الوثائق التي ترفض هذه المقولة وتفندها ونكتفي بتسليط الضـوء باختصـار شديـد على جانبين من حيـاة الايـرانيين بعـد الاسـلام ليتبين لنـا أنهم أقبلوا على الاسلام باخلاص وحملوا لواءه وضحوا في سبيل اعتلاء كلمته بهمة عالية.

الاول - اهتمام الايرانيين في مجال نشر الاسلام.

والثاني - اهتمامهم في اثراء العلوم الاسلامية.

دورهم في مجال الدعوة

ذكرنـا أن الحكـام الايـرانيين في اليمن أسلموا قبل الفتح الاسلامي لايران وأسلمت معهم اليمن، وهـؤلاء الايرانيـون ساهموا بشكل فعال في تثبيت الاسلام جنـوب الجزيـرة العربية وفي القضـاء على حركـات الـردّة.[3] وهـؤلاء الايرانيون

---

(١) انظر: سيرجان ملكم، دو قرن سكوت - فارسي -.

(٢) انظـر: خدمـات متقابل، مصدر مذكور، ص ١٤٠ تحت عنوان: اهانت در شكل حمايت = اهانة في شكل حماية!.

(٣) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، حوادث سنة ١١هـ

المسلمـون في اليمن ساهمـوا في فتوح شمال أفريقيا في العصر الاسلامي الاول،[1] وهـؤلاء طبعـا غيـر الخـراسانيين الذين انتشروا في مصر وشمال افريقيا، وحكموا هـذه الاصقـاع، وساهموا في تثبيت راية الاسلام فيها خلال العصر العباسي الاول والثاني والعصر الفاطمي.[2]

لاتتـوفـر مع الاسف دراسـات مستقلة عن دور الايرانيين في مجال الدعوة ونشـر الاسـلام، غيـر أن الوثائق المتفرقة في كتب التاريخ والسير والمذكرات تدل بوضـوح على نشـاط عظيم نهض بـه الايـرانيـون في نشـر الاسلام في شبه القارة الهندية. ففي ظل حمـلات الغزنويين على الهند نشط العلماء في نشر الدعوة هناك مثل البيـروني والحكيم الخراساني. كما انهم نشطوا أيضا في ظل هجوم السلاطين الغوريين على الهند، وكان من أشهرهم الخواجة معين الدين چشتي.

ونشطـوا أيضـا في الـدعـوة تحت ظل حكم التيموريين في الهند وفي ظل حكـومة القطب شـاهيين سعوا في نشر تعاليم الاسلام في منطقة الدكن، وهكذا في عصـر العـادل شـاهيين حيث هـدوا الوثنيين الهنـود في مناطق الهند المركزية الى الدين المبين وكذا الامر في عصر النظامشاهيين والملوك النيشابوريين.

وتذكر الوثائق نشاط الايرانيين في نشر الاسلام في كشمير التي كانت حتى سنة ٧١٥هجرية لاتدين بالاسـلام. ومن هـؤلاء الـدعـاة الايرانيين في كشمير المير سيد علي الهمداني الذي تربى على يديه آلاف الطلبة الكشميريين.

وتـذكـر أيضـادور التجـار الايـرانيين في نشر الاسلام في الصين، ولاتزال بعض مكتبات الصين تضم كتبا اسلامية ألفها صينيون باللغة الفارسية. كما نستطيع

---

(١) انظر: تاريخ الادب العربي، عصر الدول والامارات، قسم ايران والعراق.
(٢) انظر: خدمات متقابل، مصدر مذكور، ص ٣٩٥ وما بعدها.

أن نجد نظير هذا الدور في بعض بلدان جنوب شرقي آسيا.[1]

وفي بحث القاه البرفسور اسماعيل يعقوب رئيس جامعة سورابايای الاندنوسية سنة ١٩٦٩ في مؤتمر الفية الشيخ الطوسي قال: «اسم فارس ورد في الحديث الشريف وهو الصقع الذي يطلق عليه اليوم اسم ايران،وهو اسم معروف تماما عند الشعب الاندنوسي. لاننا نعلم أن الاسلام دخل اندنوسيا على يد دعاة قدموا الى الجزائر الاندنوسية ومنهم الايرانيون. الدعاة الايرانيون جاءوا اندنوسيا ونشروا الاسلام في أرجائها حتى اصبح ٩٠ بالمائة من سكان اندنوسيا ـ البالغ عددهم اليوم ١١٠ ملايين ـ مسلمين».[2]

دورهم في إثراء العلوم الاسلامية

إقبال الايرانيين الشديد على تعلم لغة الدين المبين ودراسة مصادر الاسلام والتعمق فيها من الدلائل الواضحة على انصياعهم فكريا ونفسيا لهدى الدين وعلى اهتمامهم الشديد باثراء العلوم الاسلامية وصيانتها ولمّ شتاتها. ونتيجة لهذا الاهتمام برز فيهم أئمة القراءات: مثل عاصم، ونافع، وابن كثير، والكسائي، وائمة التفسير: مثل الطوسي، والطبري، وابي الفتوح الرازي، والفخر الرازي، والميبدي، والبيضاوي. وائمة الحديث: مثل اصحاب الكتب الاربعة: الكافي، والصدوق، والطوسي. واصحاب الصحاح الستة: البخاري، ومسلم، وابي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة. ويطول الحديث لو أردنا استعراض المؤرخين والفقهاء

---

(١) انظر: خدمات متقابل مصدر مذكور، ص ٣٨٤ ومابعدها.

(٢) انظر مجموعة مقالات مؤتمر «الذكرى الالفية للشيخ الطوسي»، وجدير بالذكر أن عدد السكان المذكور ارتفع اليوم الى ١٩٠ مليونا.

واللغويين والادباء والبلاغيين والمتكلمين والفلاسفة والحكماء وأصحاب الفنون الجميلة.(١)

وانطلاقا من هذه المشاركة العلمية الجادة يرفض الدكتور براون أن يكون القرنان الاولان عصر ركود وانحطاط بالنسبة للايرانيين ويقول بعد حديثه عن سلمان الفارسي:

«سلمان هو الشخص الوحيد الذي ورد من الايرانيين في جامعة الصحابة المعززة والمكرمة، وكثير من كبار العلماء المسلمين نهضوا منذ العصور الاسلامية الاول من الاصل الايراني، وجمع من أسرى الحرب مثل اولاد شيرين الاربعة (ابن سيرين واخوته الثلاثة) الذين أسروا في جلولاء بلغوا فيما بعد مراتب شامخة في عالم الاسلام. من هنا فان القائلين بأن الايرانيين بعد استيلاء العرب على ايران ظلوا لقرنين أو ثلاثة يفتقدون الحياة العلمية والمعنوية لايصح بأي وجه. بل بالعكس فان تلك القرون تشكل عصرا رائعا ومهمّا ومنقطع النظير. انها قرون امتزاج القديم والجديد، وتحول الآداب وتطور التقاليد والعقائد والافكار، لكنها ليست عصر ركود أو سكون أو موت».(٢)

التعايش الاخوي العربي الايراني في ظل الاسلام

كانت ايران قبل الاسلام امبراطورية تتلخص حركتها في تحقيق أهداف توسعية تسلطية شأنها شأن كل القوى المتجبّرة الجاهلية، وكان العرب ممن اكتووا بنار هذه الاهداف، نلاحظ ذلك في علاقة كسرى بملوك المناذرة في الحيرة، فما

(١) انظر: خدمات متقابل، مصدر مذكور ص٤٤٥ ومابعدها.
(٢) براون، تاريخ الادب في ايران ج١، ص ٣٠١-٣٠٢ من الترجمة الفارسية.

إن ساءت العلاقات بين كسرى پرويز والنعمان أبي قابوس حتى قضى كسرى على دولة المناذرة رغم ما أسداه عرب الحيرة من خدمات للبلاط الايراني الكسروي في فتح مصر وفي صدّ اليونانيين. كما إن الوثائق تذكر نزاع الايرانيين والعرب حول حصن الضيزن على شاطىء الفرات وتحدثنا الوثائق عن صراع دموي حدث بين الايرانيين والعرب في عصر سابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) إذ أغارت القبائل العربية على أطراف مملكته فانتقم سابور منها وأسكن أسراها في كرمان وأهواز ومناطق أخرى من أرض ايران ويقال إن سابور هذا كان ينزع أكتاف رؤساء القبائل العربية فسماه العرب ذا الاكتاف.

ولا تذكر الوثائق التاريخية عن تعايش سلمي بين العرب والايرانيين قبل الاسلام سوى ما حدث في اليمن، إذ دخلها الايرانيون ليخلصوا اليمنيين من الاحباش، فاستوطنوا فيها وتعايشوا مع أهل اليمن، وربما يعود هذا التعايش السلمي الى بُعد اليمن عن السيطرة الكسروية المباشرة.(١)

اما بعد الفتح الاسلامي فقد أصبح العرب والايرانيون أمة واحدة واصبحوا بنعمة الله اخوانا، وسجل التاريخ صفحات رائعة من التآخي العربي الايراني، هي بحق من أروع صفحات عطاء الدين في انقاذ الشعوب من النزاعات الدموية ومن الروح التسلطية المتفرعنة. ويحتاج استعراض هذه الصور الرائعة الى دراسة مستقلة فاكتفي بذكر بعض اللقطات منها.

هاجرت القبائل العربية الى شرق العالم الاسلامي فتوطنت مع الايرانيين في العراق وايران وكانت الهجرة كثيفة بشكل خاص الى خراسان الكبرى. وكانت اللغة السائدة في العراق العربية ومعها الفارسية، والسائدة في ايران الفارسية ومعها

(١) انظر: جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، وجرجي زيدان، العرب قبل الاسلام.

العربية. وعلى أثـر التـزاوج والتعايش نشـأ أبنـاء العـرب على اللغة الفـارسية، ولم يمض جيـلان حتى تعـذر التمييـز بين العـرب والايـرانيين في اللغة والملبس والعادات والتقاليد.(١)

وهنـاك من يحـاول أن يتخـذ من قضية المـوالي والتعـامل العربي معهم موضـوعـا للطعن في التعايش الاخـوي بين الايـرانيين والعـرب. والواقع إن نظام الولاء وفّر فرصة زوال الفواصل بين القبائل العربية والمسلمين الجدد، حيث أصبح المـوالي جـزء من هـذه القبـائل يتمتعـون بكل مـا توفـره القبيلة لابنائها من حماية سيـاسية واقتصادية واجتماعية. ثم إن الحديث عن الموالي على أنهم فئة اجتماعية واحدة فيه الكثير من المجازفة والتبسيط المخل كما يقول الدكتور الدوري.(٢) لان المـوالي لم يكونـوا فئة واحدة، فمنهم الكتاب والوزراء، ثم منهم الفقهاء والعلماء ولهـؤلاء منـزلة عـالية، ومنهم التجـار، وأثرهم كبير في الحياة الاجتماعية، كما إن منهم الصناع والفلاحين، وكان ينظر الى هذه الفئة الاخيرة نظرة متواضعة.

والـواقع إن التـاريخ احتفظ لنـابصـور من الاهانـات التي نـزلت بالمـوالي وخاصة في العصر الاموي حتى إن الجزية فرضت على المسلمين منهم في فترة من فتـرات الحكم الاموي، ولكن هذا لم يخلّ بالتعايش السلمي بين الايرانيين والعرب فكـلاهمـا كـان متبـرمـا بظلم الامويين وساخطـا عليهم، كما ان العرب دافعوا عن الايـرانيين تجاه ما أنزله بهم بعض الولاة العرب المتعصبين من ظلم وتمييز عنصري(٣)، ثم إن الخـراسـانيين عربـا وايـرانيين تعـاونـوا في القضـاء على الحكم الامـوي

(١) برتـولـد اشبولـر، تاريخ ايران في القرون الاسلامية الاولى، ج ١، ص ٢٣٩ وما بعدها من الترجمة الفارسية.

(٢) مقال: العلاقات التاريخية بين ايران والعرب، مقال غير منشور.

(٣) انظـر الطبـري ٩/١٣٥٢ حـول شكاية أبي الصيـداء الى عمـر بن عبـد العزيـز حين قـدم اليـه من خراسـان، وتظلم من أن عشرين الفـا من المـوالي يغزون مع العرب بدون عطاء ولا رزق، وان مثلهم قد أسلموا من أهل الذمة تؤخذ منهم الجزية، كما استغاث به من جفاء الامير وعصبيته.

واستئصال شأفته.

جدير بالذكر أن القوميين المتعصبين من العرب والايرانيين يحاولون أن يركزوا على بعض الحركات القومية الايرانية التي شهدها التاريخ مثل حركة «به آفرين» و «سنباد» و «بابك الخرمي» و «مازيار» ليثبتوا تفوق العنصر القومي لدى الايرانيين على الروح الدينية. ولكن كل الوثائق التاريخية تشهد خلاف ذلك، ففي كل أمة شواذ، ولا أدّل على شذوذ هؤلاء من انزوائهم عن الامة وتحوّلهم الى لصوص وقطاع طرق ومجرمين، حتى تم القضاء عليهم بيد القادة الايرانيين انفسهم من أمثال ابي مسلم والافشين.(١)

ولا بأس من الاشارة الى أن مصر تعتبر واحدة من أهم مناطق التعايش العربي ـ الايراني، فالايرانيون بعد الاسلام شاركوا في فتح مصر من اليمن، ثم كانوا يشكلون نسبة كبيرة من الجيش الذي تعقّب مروان آخر الخلفاء الامويين الى هذا البلد وعند القضاء عل الامويين سكن كثير من الايرانيين في مصر، وتعايشوا مع المصريين حتى إن أهل مصر كانوا يرجعون في عصر الى الفقيه الايراني الليث بن سعد.

موقف الاسلام من التراث الايراني القديم

لاشك أن الاسلام حارب كلّ ما يصد حركة الانسان والمجتمع الانساني نحو الكمال المنشود في الفكر والسلوك والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وألغاه جميعا.. ولكن موقفه من النتاج الفكري والعلمي الانساني لم

(١) انظر: برتولد شبرولر، تاريخ إيران في القرون الاسلامية الاولى، ص ١٠٠ وما بعدها من الترجمة الفارسية.

يكن سلبيـا أبـدا إذا لم ينـدرج في قـائمة مـوانع الحركة التكاملية. يشهد على ذلك موقفـه من التـراث الايـراني القديم.. من اللغة الفـارسية.. ومن علوم الحرب.. ومن علـوم الادارة.. ومن فنـون العمارة.. ومن الكتب القديمة.. ثم من العادات والتقاليد السليمة.

مع أن اللغة العربية هي لغة الدين، ولايصح اسلام مسلم الا اذا تعلم قدرا من هـذه اللغة، فـأن العـرب لم يفرضوا لغتهم على أبناء الشعوب المفتوحة فرضا كما فعلت القوي الغازية في التاريخ بل وفي عصرنا الراهن أيضا.

نعم ، لقـد أقبل الايـرانيـون بنهم على تعلم اللغة العربية وخدموا هذه اللغة في مختلف المجـالات، ولكنهم لم يجـدوا أنفسهم ملـزمين بتـرك اللغة الفـارسية، فبقيت هـذه اللغة الى جنب اللغة العربية، بل إن العرب الساكنين في ايران بعد جيل أو جيلين أصبحـوا يتكلمـون باللغة الفارسية. ولكن من الطبيعي أن تمتزج اللغتان لتشكلان اللغة الفارسية الاسلامية بمفرداتها العربية الكثيرة.

واستفاد المسلمون دون شك من فنون الحرب الايرانية لان الاكاسرة كانوا يهتمـون بهـذا الجانب بشـدة لما كان بينهم من حروب مستمرة مع الروم المنافسين لهم في السيطرة على العالم، والوثائق التاريخية المتوفرة في هذا المجال رغم قلتها تـوضّح استفـادة العـرب من هـذه الفنـون، ففي عصـر الرسول(ص) حفر الخندق حـول المدينة في حرب الاحزاب باقتراح من سلمان الفارسي، وكلمة الخندق كما يقـال فـارسية. ثم إن القـادة العسكريين الايـرانيين في اليمن كان لهم دور في ادارة عمليـات الفتـوح وفي القضـاء على الـردة كمـا إن جمعـا من قـادة جيش كسـرى (الاسـاورة) كـان لهم مثل هـذاالدور حتى في فتح ايران. ثم إن التاريخ يحدثنا عن دور قيـادات عسكرية ايـرانية في القضـاء على بعض الحـركـات القومية المعارضة للاسـلام في انحـاء ايران، وفي الفتوحات الاسلامية، وفي القضاء على الخوارج،

وفي اخماد الفتن كل هذا يعني أن الفنون العسكرية الايرانية كان لهادور فاعل في ادارة العمليات العسكرية بعد الاسلام.

واما في مجال العلوم الادارية فيكفي أن نذكر أن المحاسبات الادارية كانت تتم في الدولة حتى زمن هشام بن عبد الملك باللغة الفارسية، مما يدل على أن الجهاز الاسلامي استفاد من هذه العلوم ومن الايرانيين المتمرسين فيها دونما أدنى حساسية، ومن الطريف أن لغة هذه الدواوين بُدلت الى اللغة العربية في زمن هشام على يد ايراني يحسن اللغتين هو صالح بن عبد الرحمن.(١)

اما الحديث عن موقف العرب من المراكز العلمية والمكتبات في ايران إبّان الفتح الاسلامي فهو ذو شجون. لقد حاولت العصبيات أن تعطي للفاتحين المسلمين طابعا وحشيا معاديا للعلم والمعرفة، وتصفهم بأنهم بدو أبادوا حضارة ايران وقضوا على المعالم العلمية فيها. بل وحتى الكتب المدرسية الايرانية في عصر الطاغوت كانت تلقن الطلبة هذه المفاهيم عن الفتح الاسلامي، وتبين لهم أن جامعة جنديشابور والمكتبات الايرانية أبيدت على يد الفاتحين (وتسميهم الغزاة طبعا) ومثل هذه النعرة قد ارتفعت بشأن إحراق مكتبة الاسكندرية على يد المسلمين الفاتحين.

ودرس الباحثون مسألة احراق مكتبات ايران إبّان الفتح ومنهم الاستاذ الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه، وذكر كل الاقوال في هذا المجال وفندها. كما فند فرية احراق مكتبة الاسكندرية.(٢)

بقي أن نشير الى موقف الاسلام من العادات والتقاليد. ولاشك أن المسلم

---

(١) انظر: خدمات متقابل، مصدر مذكور ص ٣٧٣ وما بعدها.

(٢) انظر: خدمات متقابل، مصدر مذكور فصل كتابسوزى ايران ومصر = احراق مكتبات ايران ومصر، ٣٠٦ وما بعدها.

يكف عن أية عادة تتنافى مع الاسلام وتعاليمه، وهكذا فعل الايرانيون بعد أن تأدبوا بآداب الاسلام، فأصبحوا في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم ومعيشتهم وحياتهم اليومية ملتزمين بآداب الدين الحنيف، ولكنهم لم يجدوا حرجا في ممارسة التقاليد القديمة بعد أن هذبها الاسلام وأطرها بتعاليمه، من ذلك مثلا الاحتفال بعيد النوروز، فلقد تواصل الاحتفال به، ثم شاركهم العرب فيه، وامتدت هذه الاحتفالات الى مصر.(١)

وبقي أن نشير الى أن فنّ العمارة الايراني كان له أثره الكبير في بناء المساجد الاسلامية وبناء المدن الجديدة. وهكذا الامر في باقي الفنون الجميلة، مما يدل على انفتاح الاسلام على ما عند الآخرين من علوم وفنون وعادات حميدة.

عطاء الاسلام للايرانيين

لايمكن أن نفهم هذا العطاء الاّ اذا عرفنا ظروف الايرانيين وحياتهم قبل الفتح الاسلامي. نعم كانت ايران قبل الفتح امبراطورية عظيمة مرهوبة الجانب متطورة في فنون القتال والعمارة، ولكن المهم في الامر الشعب الايراني، ماذا كان نصيبه في ظل هذه الامبراطورية العظيمة؟ باختصار كانت الاغلبية العظمى من أبناء الشعب تعيش حالة «الحرمان» وهو حديث يحتاج الخوض فيه الى كتاب مستقل. ونكتفي بالاشارة فقط الى مايلي:

١ ـ كان المجتمع الايراني قبل الاسلام قائما على اساس التمييز الطبقي،

(١) انظر: محمدى، محمد، تاريخ آداب اللغة العربية، فصل النيروز المعتضدى، والنيروز في مصر.

حتى ان بيوت النار كانت مقسمة على الطبقات، ولا يحق للطبقة الدنيا ان تدخل معبد الطبقة العليا.

٢ ـ كانت الزرادشتية قد مسخت وأفسد فيها رجال الدين (الموبدان)، وأضحى عامة الناس يناصبون العداء للجهاز السياسي والديني معا، مما حدى بهم أن يتعاونوا مع الفاتحين العرب.(١)

٣ ـ كان النظام الطبقي في ايران يقضي أن تكون الملكية في احتكار افراد معدودين وعلى اكثر الاحتمالات كانت ملكية ايران الكبرى بيد مليون ونصف المليون انسان، وباقي الشعب البالغ عدده مائة واربعين مليون انسان محرومون من حقّ التملك.

٤ ـ كان التعليم مقتصرا على الطبقة العليا من المجتمع، والباقون محرومون حتى ولو كانوا أثريا، وفي الشاهنامة قصة تحكي عن ثري ايراني من الطبقة الدنيا أعلن استعداده لانفاق كل أمواله من أجل رفع الحظر عن تعليم ابنه فلم يسمحوا له بذلك رغم أن ميزانية الدولة كانت بحاجة الى اموال هذا الرجل.(٢)

وتذكر وثائق العصر الساساني ان الفساد دبّ في نظامه الاجتماعي والاسري والاخلاقي بشكل فظيع.(٣)

وأي عطاء اكبر لمثل هذا الشعب من دين الهي يوفر له كل ما تصبو له فطرته الانسانية من ارتباط بالمبدأ الاعلى، ثم يوفر له ايضا الكرامة والمساواة والحرية؟!، فقد ألغي بفضل الاسلام النظام الطبقي، والغي حظر التعليم بل أصبح واجبا على

---

(١) انظر: القزويني، محمد، بيست مقالة، وفيها يقول: إن الايرانيين الخونة!! تعاونوا مع الفاتحين العرب في توجيههم الى مواضع الضعف الموجودة في الامبراطورية الساسانية.

(٢) انظر: الفردوسي، الشاهنامه، ط سازمان كتابهاى جيبى، ج ٦، ص ٢٥٨–٢٦٠.

(٣) انظر: كريستنسن، ايران في عصر الساسانيين ٣٤٦ وما بعدها من الترجمة الفارسية، وتاريخ اجتماعي ايران – فارسي – سعيد نفيسي، ص ٤، ١١٢، ٢٧٥، ٢٨٤ و ٢٩١ و ٣٣٠....

كل مسلم ومسلمة، والغيت كل الامتيـازات الـزائفة التي كـان تتمتع بهـا الطبقـات الممتـازة وكهنـوت الديانة الـزرادشتية، ولذلك كله نرى أن هذا الشعب أقبل على طلب العلم بنهم المتعطش المحـروم، واقبل يحـارب في سبيل اللـه بعـد أن كـان مسخـرا للحـرب من أجل الطـاغـوت، واقبل على حركة ابداع كبرى في المجتمع الاسلامي بعد أن كان مقيدا بأغلال الجاهلية واصرها.

نسـألـه سبحانـه أن يمن على أمتنا بحياة حقيقية تحت ظل الاسلام لتستمد عطاءه كل حين.. وما كان عطاء ربك محظورا.

والحمد لله رب العالمين